1- ما النّادرة؟

- النّادرةُ جنسٌ أدبيّ مستقلٌّ بذاته مِنْ أجناس القصّ العربيّ القديم. إهتمّت النّوادرُ بالشّخصيّاتِ الظّريفة المُسلّية مِن قبيل: البخلاء، الحَمْقى، جُحَا، أشْعَب، قَراقُوش... فسردَتْ أفعالَها وأقوالَها الّتي أبْرَزَتْها حقًّا أو الّتي أُسنِدتْ إليها في الذّاكرة الشّعبيّة الشّفويّة عبرَ التّاريخ.

- للنّادرةِ خصائصُ فنّيّةٌ تُميّزُها، هي: القِصَرُ الكَمّيُّ، الكثافةُ الحَدَثيّةُ، النّزعةُ النّقديّةُ اللّطيفةُ، السّعْيُ إلى إضْحاك السّامعِ أو القارئِ عبرَ وسائل شتّى. منها: التّوصيفُ السّاخر للشّخصيّات، مُجاراتُها في منطقِها العجيبِ المُفارِق للمنطقِ الجماعيّ السّائد، الدّخولُ معها في حوارات 'عَبَثِيّة'، أو تكادُ.

2- تعريفُ الكاتب:

أبُو عثمان الجاحظُ [159هـ-255هـ]: مِن كبارِ الأدَباء العربِ في العصر العبّاسيّ. وُلد في مدينة 'البَصْرَة' بالعراق. وبها تُوفّي. تنوّعتْ مواضيعُ كتاباته. فقد ألّفَ في علمِ الكلام والأدبِ والسّياسة والتّاريخ والأخلاق والنّبات والحيوان والصّناعة والنّساء وغيرها. وتعدّدتِ الأجناسُ الأدبيّةُ الّتي تناولها. إذْ كتبَ الرّسالةَ والنّقدَ الأدبيّ والبحثَ العلْميّ والنّادرةَ... عُرِفَ الجاحظُ بالنّزعةِ العقلانيّة [إنتمى إلى فرقة المعتزلة] وبمنهجٍ بحثيّ علميٍّ دقيقٍ يعتمدُ الشّكَّ والنّقدَ والاستِقراءَ. وكان يُصرِّفُ الحِجَاجَ ببراعةٍ وحِنْكةٍ. وكان بُخلاءُ نوادرِه على مِنواله.

Radhia chaibi

3- تقديمُ كتابِ 'البخلاء':

- 'البخلاءُ' كتابٌ يضُمُّ مجموعةً مِن نوادرِ البُخلاءِ المُقتّرين الّذين يَجمعونَ أكثرَ ما يَستطيعون مِنَ المال ويَمنعون إنفاقَ أكثرِ ما يُمكنُ مِنه. فسُمُّوا لذلك: «أهلُ الجمْعِ والمَنْع».

- سردَ الجاحظُ نوادرَ عدّةً ادّعَى أنّه عايش أحداثَها وعاشرَ 'أبطالَها'. ونقلَ نوادرَ أُخرى حُكِيتْ له.

- نوادرُ هذا الكتاب: واقعيّةٌ [أيْ: يَزعُمُ الكاتبُ أنّ أحداثَها حقيقيّة] + قَصَصيّةٌ [أيْ: ذاتُ بِنْيةٍ قَصَصيّة] + ساخِرةٌ [أيْ: تتّخذُ السُّخريةَ مِن البخلاءِ سبيلا إلى نقدِهم].

- كشفتْ نوادرُ البخلاء ما طرأ على المجتمعِ العربيّ الإسلاميّ العبّاسيّ، وهو المنفتحُ على أُمَمٍ عِدّةٍ [العرب، الفرس، الأتراك، الرّوم، الأكراد، الإغريق...] والمتنوّعُ فِكريًا ودينيًا ومَذهبيًا، مِنْ تحوُّلٍ في القِيَم الأخلاقيّة الجماعيّة [التّغنّي بالشُّحّ لا بالكَرَم...].

كانت السّخريةُ الخفيّةُ المُهادِنةُ الهادئةُ لكنّ اللاّذعةُ العميقةُ، هي سبيلُ 'أبي عثمان' إلى فضْحِ هذا التّحوّلِ القِيميّ وإدانتِه ونَقْدِه. وقدْ جعلَ 'أبطالَه' يَكشِفون خبايا نفوسِهم الشّحيحةِ عبْرَ خِطابِهم الحجاجيّ الظّريف. فاقتربتِ النّوادرُ أحيانا مِن 'التّحليلِ النّفسيّ' الّذي يتوغّلُ في بَواطنِ البُخلاء ويُفكّكُ منطِقَهم 'العجيبَ'.

❖ ❁ عَـــمَلا مُـــوفّقا ❁ ❖

❖ أستاذة العربيّة، فوزيّة الشّطّي ❖ إنتاج فقرة تحليليّة ❖ محور: النّادرة، 2ث، معهد المنتزه ❖ 18-2019 ❖

المنطلق: «صَنِّفِ البُخَلاءَ الّذينَ دَرَسْتَهُمْ في نَوادِرِ الجاحِظِ».

❖ يَتّفقُ بخلاءُ الجاحظ في انتمائهم إلى 'مذهبِ الجمع والمنع'. بيد أنّهم يختلفون في درجاتِ الشّحّ ومواضيعِه وأصنافِه.

❖ فمِن هؤلاء المقتّرين مَن يبخل على النّاس حتّى بمكانٍ آمن في بيته. شاهدُنا على ذلك 'أبو مازن' الّذي تحايل متسآكِرا حتّى يمنعَ 'جبلا' المسافرَ ليلا مِن الاحتماء في داره بضعَ ساعات. لقد بخل إمامُ الشّحّ هذا بالمكان على مَن استجار به مِن مخاوف الطّريق. وهذا سلوكٌ يتعارض مع أخلاقِ الرّحمة والتّعايُشِ الإنسانيّ.

ويُوجد في النّوادرِ الجاحظيّة أيضا صنفٌ عجيب يبخلُ على نفسِه بالدّواء الشّافي متحمّلا آلامَ المرض ومضاعفاته. فها هو 'شيخُ النّحالة' يفضّلُ أن يعانيَ أوجاعَ الصّدر أيّاما طوالا على أن ينفقَ درهما واحدا مِن أجل الدّواء والغذاء الصّحّيّ. زِدْ على ذلك أنّه ابتدع جرّاءَ تلك المحنة حيلةً يغشُّ بها النّاسَ ويكسب المزيدَ مِن المال. والأعجبُ أن يعتبرَ أتباعُه وإخوانُه ذاك التّحيّلَ ضربا مِن 'الوحي' قائلين عنه بإعجابٍ ومُفاخرة: «مِثْلُ هَذَا لاَ يَكُونُ إِلاَّ سَمَاوِيّا».

وقد عرّفنا أبو عثمان بنموذجٍ للمنطقِ البُخليّ العجيب. فإمامُ التّقتير 'تمّامُ بن جعفر' بخيلٌ على الطّعام بخلا مَرَضيّا يجعله يردُّ كلَّ مظاهرِ الصّحّة والعلّة إلى الإكثار مِن الطّعام. هذا لأنّه محرومٌ مِن لذّة الشّبع وحاسدٌ لكلّ مَن يجود على نفسه بالطّيّبات.

❖ إنّ في كتاب 'البُخَلاءُ' أصنافا أخرى مِن أهل الجمع والمنع، عمد كاتبُنا إلى تحليلِ نفسيّتهم غيرِ العاديّة وغيرِ السّويّة تحليلا عميقا ساخرا معًا.

Radhia chaibi

❖ أستاذة العربيّة، فوزيّة الشّطّي ❖ إنتاج فقرة تحليليّة ❖ محور: النّادرة، 2ث، معهد المنتزه ❖ 18-2019 ❖

المنطلق: «صَنِّفِ البُخَلاءَ الّذينَ دَرَسْتَهُمْ في نَوادِرِ الجاحِظِ».

❖ يَتّفقُ بخلاءُ الجاحظ في انتمائهم إلى 'مذهبِ الجمع والمنع'. بيد أنّهم يختلفون في درجاتِ الشّحّ ومواضيعِه وأصنافِه.

❖ فمِن هؤلاء المقتّرين مَن يبخل على النّاس حتّى بمكانٍ آمن في بيته. شاهدُنا على ذلك 'أبو مازن' الّذي تحايل متسآكِرا حتّى يمنعَ 'جبلا' المسافرَ ليلا مِن الاحتماء في داره بضعَ ساعات. لقد بخل إمامُ الشّحّ هذا بالمكان على مَن استجار به مِن مخاوف الطّريق. وهذا سلوكٌ يتعارض مع أخلاقِ الرّحمة والتّعايُشِ الإنسانيّ.

ويُوجد في النّوادرِ الجاحظيّة أيضا صنفٌ عجيب يبخلُ على نفسِه بالدّواء الشّافي متحمّلا آلامَ المرض ومضاعفاته. فها هو 'شيخُ النّحالة' يفضّلُ أن يعانيَ أوجاعَ الصّدر أيّاما طوالا على أن ينفقَ درهما واحدا مِن أجل الدّواء والغذاء الصّحّيّ. زِدْ على ذلك أنّه ابتدع جرّاءَ تلك المحنة حيلةً يغشُّ بها النّاسَ ويكسب المزيدَ مِن المال. والأعجبُ أن يعتبرَ أتباعُه وإخوانُه ذاك التّحيّلَ ضربا مِن 'الوحي' قائلين عنه بإعجابٍ ومُفاخرة: «مِثْلُ هَذَا لاَ يَكُونُ إِلاَّ سَمَاوِيّا».

وقد عرّفنا أبو عثمان بنموذجٍ للمنطقِ البُخليّ العجيب. فإمامُ التّقتير 'تمّامُ بن جعفر' بخيلٌ على الطّعام بخلا مَرَضيّا يجعله يردُّ كلَّ مظاهرِ الصّحّة والعلّة إلى الإكثار مِن الطّعام. هذا لأنّه محرومٌ مِن لذّة الشّبع وحاسدٌ لكلّ مَن يجود على نفسه بالطّيّبات.

❖ إنّ في كتاب 'البُخَلاءُ' أصنافا أخرى مِن أهل الجمع والمنع، عمد كاتبُنا إلى تحليلِ نفسيّتهم غيرِ العاديّة وغيرِ السّويّة تحليلا عميقا ساخرا معًا.

النادرة شكل من أشكال القص القديم الذي عرف به الجاحظ في كتاب البخلاء.

تقوم النادرة على أخبار قصيرة تراوح بين الهزل والجد ، وكل خبر هو قصة قصيرة مستقلة بذاتها تدور في مجتمع الجاحظ في القرن الثالث للهجرة.

تهدف النادرة إلى مواجهة الفرس في إطار الصراع الشعوبي بين العرب والفرس، فإذ يعتز الفرس بعراقة حضارتهم ويتهمون العرب بالتوحش والبداوة فإن العرب الذين يتكلم الجاحظ على لسانهم يتهمون الفرس بالبخل (لا بمعنى الكسل ولكن بمعنى الشح والضن بالمال) وحب المال والتقتير على النفس.

Radhia chaibi

بنية النادرة: تقوم على بنية الأخبار والأحاديث.

-السند : هو سلسلة الرواة الذين ينقلون الخبر إما معاينة او سماعا وقد يكون الجاحظ نفسه راويا وفاعلا قصصيا في الوقت نفسه.
يمثل السند سلطة مرجعية يستند إليها الجاحظ لتوثيق الخبر ، كما أنه يحول بعض الأخبار من طور التخييل إلى طور الواقع فيتظاهر الجاحظ بالحياد في الوقت الذي يحرك فيه الشخصيات بخيط خفي وفق إستراتيجية في القص تقوم على الإضحاك والعبث بالبخيل إلى حد التشفي منه.

المتن:هو موضوع الخبر وأحداثه ، ويقوم عادة على حيلة لطيفة وحلية بديعة قوامها المجاز والإيجاز، وبطلها بخيل من الفرس.
تنكشف شخصية البخيل متناقضة فظاهرها الكرم وباطنها البخل ، إذ توهمك بالتواصل مع المجتمع من حيث أنها تخالفها وتخرقها وتصطدم معها، إن البخيل ذو نظام خاص مخالف لمألوف الجماعة وإن أوهم بالتواصل معها، إذ ينتقي ما شاء من النظام الاجتماعي الذي يعاشه بما يوافق مصلحته .

تبدو ثقافة البخيل محتكمة إلى نموذج قيمي في علاقة صراع مع السائد الاجتماعي في مستوى آداب الضيافة والطعام، إذ يستخدم البخيل أسلوبا في التفكير يعكس ثقافة العصر وتوظيفه إياها لمصلحته دون إلزامه بها سلوكا ومنهجا في الحياة وأسلوبا منطقيا يجعل من المال شيئا مقدسا يستوجب التفويت فيه الاستغفار والندم والاستنكار

حد التشفي منه.

المتن:هو موضوع الخبر وأحداثه ، ويقوم عادة على حيلة لطيفة وحلية بديعة قوامها المجاز والإيجاز، وبطلها بخيل من الفرس.
تنكشف شخصية البخيل متناقضة فظاهرها الكرم وباطنها البخل ، إذ توهمك بالتواصل مع المجتمع من حيث أنها تخالفها وتخرقها وتصطدم معها، إن البخيل ذو نظام خاص مخالف لمألوف الجماعة وإن أوهم بالتواصل معها، إذ ينتقي ما شاء من النظام الاجتماعي الذي يعاشه بما يوافق مصلحته .

تبدو ثقافة البخيل محتكمة إلى نموذج قيمي في علاقة صراع مع السائد الاجتماعي في مستوى آداب الضيافة والطعام، إذ يستخدم البخيل أسلوبا في التفكير يعكس ثقافة العصر وتوظيفه إياها لمصلحته دون إلزامه بها سلوكا ومنهجا في الحياة وأسلوبا منطقيا يجعل من المال شيئا مقدسا يستوجب التفويت فيه الاستغفار والندم والاستنكار.

إن شخصية البخيل هي شخصية خارجة عن مألوف الجماعة في التعامل والتصور مما يجعل طرد البخيل من قيم الجماعة وعاداتها أمرا ضروريا عند العرب.

Radhia chaibi

مظاهر الهزل والإضحاك:
تنوعت مظاهر الهزل والإضحاك والسخرية في نوادر الجاحظ ، وهي تهدف إلى مقاصد مختلفة، ففي المقام الأول يتحقق بها النقد الاجتماعي لما تقوم عليه النادرة من تصوير انحرافات اجتماعية وسلوك شاذ نتج عن فئة حافظت على طابعها وقيمها الموروثة التي تأثرت بمتغيرات الواقع الاقتصادي في عصرها ، وفي المقام الثاني تحمل النادرة القارئ على تبني سلوك الكرم والسخاء وهو قيمة عربية أصيلة. وإضافة إلى ذلك تحقق إعادة تركيب منظومة القيم والمعايير على نحو يستجيب لمقومات العادات العربية ، وفي الأخير لا تخلو النادرة رغم ما تنطوي عليه من مقاصد نقدية من الترويح عن المتلقي وتسليته واستهداف الجمالية.
إن نوادر الجاحظ في ظاهرها هزل وإضحاك وفي باطنها نقد اجتماعي يهدف إلى الإصلاح.

1- دِفاعُ البخلاءِ عن مذهبِهم قولا:

- يرفضون نعتَهم بالبخلاء ويُسمّون شحَّهم 'إصلاحا'..
- يتّهمون خصومَهم بالإسراف ويُسمّونهم 'مفسِدين' و'مبذّرين'..
- يتفاخرون بمآثرهم في التّقتير والاقتصاد ويتنافسون فيهما سعيا إلى التّميّز..
- يتعلّمون بكلّ شغفٍ من أئمّة البخل وشيوخِ الاقتصاد ويتبادلون فيما بينهم 'الخبرات البُخليّة' بسخاء..
- يُوظّفون الدّينَ لإضفاء الشّرعيّة على سلوكهم الشّاذّ..

← أظهر بخلاءُ الجاحظ في

← أظهر بخلاءُ الجاحظ في الدّفاع عن مذهبهم بالأقوال ثقافةً واسعة وفصاحةً مميَّزة وخبرةً في انتقاء الحجج وتنويعها. حتّى إنّهم كثيرا ما يغلبون خصومَهم بالمنطق العجيب.

2- دفاعُ البخلاءِ عن مذهبهم فِعلا:

- يجرؤون أحيانا على التّصادم مع 'المسرفين' إنْ هُدِّدَ مالُهم (الإعفاءُ من السّلام...)
- يلجؤون إلى الحيل المتنوّعة لصدّ ضيف ثقيل (أبو مازن وجبل...)
- يحلّلون الغشَّ ما دامَ يُكسبُهم مالاً (شيخُ النُّخالة...)

← يُضطرُّ البخلاءُ أحيانا إلى الدّفاعِ عن مذهبهم بالأفعالِ العنيفة أو المُشِينة. فيهدّدون بذلك تعايُشَهم السّلميّ مع الأغلبيّة حفاظا على مالهم من الضّياع عبثا.

- الخاتمة:

يُعبّرُ الدّفاعُ الدّائمُ عن مذهبِ الجمع والمنع أوّلا عن إحساس البخلاء بعزلتهم وسطَ مجتمعٍ يُكبِرُ قيمَ الجُود والعطاء ويُحقّرُ الشّحَّ والمُقتِّرين. ويؤكّدُ ثانيا أنَّ أهلَ الجمع والمنع ثابتون على مبدئهم مهما نالهم من سخرية وإقصاء ومهانة.

1- المقدّمة:

يُعتبر 'البخلاءُ' كتابا في النّثر القصصيّ، جنسُه النّادرةُ. وقد ألّفه الأديبُ العبّاسيّ 'أبو عثمان الجاحظ' مُصوِّرا هذه الفئةَ تصويرا واقعيّا ونفسيّا. وفي النّوادرِ بدا البخلاءُ مُتفانِين في الدّفاعِ عن مذهب الجمع والمنع قولا وفِعلا. فكيف يتجلّى ذلك في هذا الكتابِ البديع؟

2- الجوهر:

- القسمُ الأوّل: دفاعُ البخلاءِ عن مذهبِهم قولا:

تفانى البخلاءُ في الدّفاع عن

2- الجوهر:

- القسمُ الأوّل: دفاعُ البخلاءِ عن مذهبِهم قولا:

تفانى البخلاءُ في الدّفاع عن مذهبِ الجمع والمنع بالأقوال. فهم يرفضون نعتَهم بالبخلاء، ويُسمّون شُحَّهم 'إصلاحا'. بل يتّهمون خصومَهم بالإسراف، ويُسمّونهم 'مُفسدين' و'مبذِّرين'. في هذا السّياق قال أحدُ أئمّتهم معاتبا خصومَه: «وَزَعَمْتُمْ إِنَّمَا سَمَّيْنَا البُخْلَ إِصْلاَحًا وَالشُّحَّ اقْتِصَادًا كَمَا سَمَّى قَوْمٌ الهَزِيمَةَ انْحِيَازًا. بَلْ أَنْتُمْ سَمَّيْتُمْ السَّرَفَ جُودًا وَسُوءَ نَظَرِ المَرْءِ لِنَفْسِهِ وَلِعَقِبِهِ كَرَمًا». زدْ على

الـمَرْءِ لِنَفْسِهِ وَلِعَقِبِهِ كَرَمًا». زدْ على ذلك أنّ 'أهلَ الجمع والمنع' يتفاخرون بمآثِرهم في التّقتير والاقتصاد ويتنافسون فيها سعيا إلى التّميّز. فهم لا يخجلون مِن بخلهم إطلاقا. إنّما يسعَوْن إلى أنْ يتعلّموا بكلّ شغفٍ من أئمّة المذهب وشيوخه وأنْ يتبادلُوا فيما بينهم 'الخبرات البُخليّة' بسخاء. فهم بخلاءُ في كلّ شيء إلاّ في هذا. ولا يستنكفُ البخلاءُ من توظيف الدّين لإضفاء الشّرعيّة على سلوكهم الشّاذّ. لذا يعُجّ خطابُهم بالمعجم الدّينيّ تفسيرا وتعليلا.

تفسيرًا وتعليلًا.

⇐ لقد أظهر بخلاءُ الجاحظ في الدّفاع عن مذهبهم بالأقوال ثقافةً واسعة وفصاحةً مميّزة وخبرةً في انتقاء الحجج وتنويعها. حتّى إنّهم كثيرا ما يغلبون خصومَهم بالمنطق العجيب الّذي يُفحِمُ.

- القسمُ الثّاني: دفاعُ

البخلاءِ عن مذهبِهم فِعلا:

رغم حرصِ البخلاء على التّعايش السّلميّ مع الأغلبيّة الاجتماعيّة، فإنّهم يجرؤون أحيانا على التّصادُم مع 'المُسرفين' إنْ هُدّد مالُهم. دليلُنا على ذلك المصحّحُ الخراسانيّ الّذي أعفى النّاسَ من إلقاء التّحيّة عليه

البخلاءِ عن مذهبِهم فِعلا:

رغم حرصِ البخلاء على التّعايش السّلميّ مع الأغلبيّة الاجتماعيّة، فإنّهم يجرؤون أحيانا على التّصادُم مع 'المُسرفين' إنْ هُدّد مالُهم. دليلُنا على ذلك المصحّحُ الخراسانيّ الّذي أعفى النّاسَ من إلقاء التّحيّة عليه حفظا لطعامه من الطّامعين. ثمّ إنّ بعضَ البخلاء يلجؤون إلى الحيلِ العجيبة المتنوّعة كي يَصُدُّوا ضيفا ثقيلا. فهذا 'أبُو مازن' يتساكرُ كذبا حتّى يمنعَ المسافرَ الخائفَ 'جبلا' مِن دخول بيته طلبا للأمان. بل إنّه أغلق البابَ في وجه المُستجيرَ تارِكا إيّاهُ مصدوما مذهولا.

مصدوما مذهولا.

يُبدِي 'أهلُ الجمع والمنع' احتراما للقيم الدّينيّة. لكنّهم لا يتورّعونَ عن تحليلِ الغشِّ، ما دامَ يُربحهم مالاً إضافيّا. شاهدُنا على ما ندّعي 'شيخُ النّخالة' الّذي كان يشتري نخالةً طبيعيّة، فينقعُها في الماء، ثمَّ يشربُ وأسرتَه نقيعَها، ثمّ يُجفّفها ليبيعَها بنفس ثمن الشّراء. وما كان يخجل من هذا الغشّ. إنّما جاهر به أمام نُدْمانِه متفاخِرا كيْ يـمْنحَهم درسا جديدا في البخل.

⇐ إنّ البخلاءَ يُضطرُّون أحيانا إلى الدّفاع عن مذهبهم بالأفعال العنيفة الـمُشينة. فيُهدّدون بذلك

وأسرتَه نقيعَها، ثمّ يُجفّفها ليبيعَها بنفس ثمن الشّراء. وما كان يخجل من هذا الغشّ. إنّما جاهر به أمام نُدْمانِه متفاخِرا كيْ يـمْنحَهم درسا جديدا في البخل.

⇐ إنّ البخلاءَ يُضطرُّون أحيانا إلى الدّفاع عن مذهبهم بالأفعال العنيفة الـمُشينة. فيُهدّدون بذلك تعايُشَهم السّلميّ مع الأغلبيّة حفاظا على مالهم من الضّياع عبثا. فلِلْمالِ عندهم الأولويّةُ القصوى.

3- الخاتمة:

يُعبِّر الدّفاعُ الدّائم عن 'مذهب الجمع والمنع' أوّلا عن إحساس

3- الخاتمة:

يُعبِّر الدّفاعُ الدّائم عن 'مذهب الجمع والمنع' أوّلا عن إحساس البخلاء بعُزلتهم وسطَ مجتمعٍ يُكبِرُ قيمَ الجود والعطاء ويُحقِّرُ الشُّحَّ والمُقتِّرين. يُؤكّدُ ثانيا أنّ 'أهلَ الجمع والمنع' ثابتون على مبدئِهم مهما نالهم نالَهم من سُخرية وإقصاء ومَهانة. فهذه الأقلّيّةُ جريئةٌ عنيفةٌ بقدرِ ما هي سلِسةٌ مُهادنةٌ.

2. النّادرة بين المعجم و حقل الأدب:

أ) في المعجم

جَاءَ في لسان العرب:ندَرَ الشيءُ يندرُ ندورًا:سقط،وقيل سقط وشذّ.
نوادر الكلام وهي ما شذّ و خرج من الجمهور وذلك لظهوره...ويُقال إنّما ذلك في الندرة بعد الندرة إذا كان في الأحايين مرّةً...والنّدرة القطعة من الذّهب والفضّة توجد في المعدن..

نستخلص من هذه التّعريفات المعاني التّالية:

- الشذوذ و الخروج واختراق المألوف والمُتَواضع عليه
- القلّة: ضدّ التواتر والكثرة و الابتذال
- النفاسة و رفعة القيمة

هذه المعاني الثلاثة مجتمعةً تسمح لنا بالقول إنّ النّادر من الكلام هو ما قلّ و إنّ قلّته تجعله في صورة الشاذ في مضمونه و هذا يقرّبنا من أبرز خصائص النادرة و هي الغرابة المتأتّية مِنْ كلام البخيل و سلوكه وما تفرز من انْطباعات تجمع بيْن الاستطراف المولّد للضحك والدّعابة والاستهجان المفْضي إلى النّقد والرّفض.

ب) النّادرة في حقل الأدب:

استأثر تصنيف النّادرة من حيث النّوع والجنس الأدبي بمساحات في متون النّقد والبحوث الأدبيّة ويذهب الباحث فرج بن رمضان في كتابه [الأدب العربي القديم ونظريّة الأجناس] إلى أنّ النّادرة سَليلة مدوّنة الأخبار ويرى أنّها تنشدّ إلى الخبر بثلاث روابط هي رابطة التّسمية ورَابطة السّنَد ورابطة القصصيّة وإنّ إلْحَاقها بدائرة الأجناس الأدبيّة إنّما يَسْتَنِدُ إلى مقوّمين ثابتين هما القصصيّة و"النّادريّة" (الهزل)

وإنّ قَرْنَها بالخبر يشرّعه قالبها البنيويّ العام الأكثر تواترا فأكثر نوادر بخلاء الجاحظ يرد في صيغة خبريّة خاضعة لمكوّني الهيكل العام للخبر وهما السّند والمتن (قال مثنّى بن بشير.../ حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار و النّظام قال:...) ولكنّها تظلّ خبرًا مخصوصا بآعتباره أنّ الجاحظ قد منح "الخبرَ" في كتاباته خصوصيّة يلخّصها الدكتور محمّد القاضي في قوله:"إنّ كتابات الجاحظ مثّلت مرحلة من مراحل الخبر اتّسمت بالنّضج لأنّه استطاع أن يقف بالخبر موقفا وسطا فلم يقبل أنْ يشطّ به الخيال ولمْ يصفّده بأغلال الواقع... وإنّما ترك له إمكانيّة مُشَاكَلَةِ الواقع"

كأنّنا بالجاحظ عَدَل بالخبر عن مَسَار التدوين والتّسجيل إلى حَقْلِ الأدب بما مَنَحَهُ مِنْ "أدبيّة" ليحلّ به في منطقة وُسْطى بين الواقع الموضوعي والمتخيَّل الأدبي وهذا ينسحب على النّادرة فهي ليست تسجيلا مَحضا و إنْ أوْهَمَنَا الجاحظ بذلك عند حديثه عن شخصيّات معلومة في الواقع وهي في الآن نفسه لَمْ تبلغ درجة عالية من التّخييل تحرّرها كُلّيا من قيود الخبر لأنّ صاحبها لم يخترع مادّتها من فراغ.فكثير من شخصيّات نوادر "البخلاء" أعْلام معروفون في حيّزي الجغرافيا والتاريخ والجاحظ يقول:"وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافةً إلى أرْبابها وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها إمّا بالخوف منهم وإمّا بالإكرام لهم"

3. الموضوع العامّ للنّادرة:

مداره سلوك البخيل بين بخل و إمساك و جمع و منع و يَتَبَدّى هذا السّلوك في أوجه مختلفة فهو عند بعض أهله "اقتصاد و إصلاح" وعند البعض إجراء تَقتضيه الضرورة لمجابهة كثرة النّفقات في عَصْر بَات فيه

ج) أبرز خصائص أسلوبه:

لقد سلك الجاحظ في كتاباته خطا إبداعيا مخصوصا بات يُشكّل مميّزا له لا يكاد يُنازع فيه ولا يُضاهى حتى استقلّ بمدرسة في الكتابة و من أبرز تلك الخصائص:

- نزوعه إلى السّخرية و التهكّم و مزج الجدّ بالهزل فكانت كتاباته جدًّا هازلا وهزلاً جادًّا وهو القائل في كتاب الحيوان: "وإنّ كنّا قد أمللناك بالجدّ و بالاحتجاجات الصّحيحة لتكثر الخواطرّ وتشحذ العقول فإنّا سنُنشّطك ببعض البطالات و بذكر العلل الطريفة والاحتجاجات الغريبة"
- كثرة المترادفات جملاً و ألفاظ و قد يتراءى هذا للبعض ضربًا من الحشو ولكنّ الجاحظ يصدُرُ في ذلك عن رغبة في الإلمام بالمضمون الذي يروم تبليغه بأكثر ما يمكن من المعاني الجزئيّة وكأنّه يعلل بذلك وعن وعي بعجز اللّغة عن التّبليغ الكافي للصّورة. يقول الجاحظ معبّرا عن هذه الحقيقة: "وهذا وشبهه إنّما يطيب جدًّا إذا رأيتَ الحكاية بعينك لأنّ الكتاب لا يصوّر لك كلّ شيء ولا يأتي لك عن كنهه و على حدوده و حقائقه"
- غلبة روح الجدل على كتاباته فيُظهر قدرة على تحسين الشيء وتقبيحه في آنٍ واحد ويظهر ذلك جليّا في كتاباته ذات المنزع العقلي والكلامي مثل الحيوان وحتّى في كتاب البخلاء الذي صوّر لنا البخيل مُحاججًا بارعًا يعيد صياغة المفاهيم ويَمنحُها مقاصد جديدة فإذا البخل عنده "إصلاح" "والشحّ اقتصاد" والكرم تضييع" و"الجود سَرَف" و"الأثرة جهل"
- المزج الطريف في كتاباته بين المسلك العلمي النخبوي مضمونا وأسلوبًا وما يسمّيه بعض الدّارسين بـ"الرّوح الشعبيّة" من خلال إدماجه المضامين ذات الطبيعة الشّعبيّة في الأدب الفصيح ومحافظته في ذلك على صياغتها الأصليّة دون تعديل قد يُفقِدُها حرارتها وأصالتها وهذا ما يؤكّده قوله في مقدمة كتاب البخلاء: "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنًا أو كلامًا غير مُعْرب و لَفْظًا معدولاً عن فهمه فاعلموا أنّا تركنا ذلك إلاّ لأنّ الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من جدّه إلاّ أنْ أحكي كلامًا مِنْ كلام مُتعاقلي البخلاء والبُخلاء العُلماء كسهل بن هارون و أشباهه"

د) كتاب البخلاء:

هو أحد آثار الجاحظ الخالدة يُرجّحُ بعض الدّارسين أن يكون ألّفه في أواخر حياته مستدلّين بذلك بمحفوظ النّقاش في إحدى النوادر مرض الجاحظ.

يقول محفوظ:"يا أبا عثمان إنّه ليأتي و غلظة وهم الليل وركوده ثمّ ليل مَطَر ورُطوبة وأنت رَجُل قد طعنت في السنّ ولَمْ تزلْ تشكو مِنَ الفالج طرَفًا." والمعلوم أنّ الجاحظ توفّي بهذا المرض (الفالج) الذي أصاب نصفه السّفلي.

صدّر الجاحظ كتابه هذا بمقدّمة ذكر فيها القادح للكتابة و المضمون العام للكتاب وأبرز خصائص الكتابة فيه كالجمع بين الجدّ و الهزل ومقاصده من ذلك وهذا ما يلخّصه قوله:"ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبيّن حجّة طريفة أو تعرّف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة"

أمّا المتنُ فمُلَحٌ وأخبارٌ وأحاديث ورسائلُ وطرائف إلتقتْ في حضور الطرافة وغريب التفكير والسّلوك وإشاعة الفكاهة فكان الجنس الجامع بينها والموحّد لها هو النادرة.

المال ضرورة ملحّة فكانَ الدّرهم هو القطب الذي تدور عليه رحَى الدّنيا وفي أحوال أخرى يكون البخل ف
إشباع لرغبة جموح في الجمع من أجل الجمع فلا سبيل إلى التّفريط و التّفويت و همّ البخيل إنّما هو ال
والاستحواذ و مُراكمة المال و يبلغ هذا السّلوك ذروة السلبيّة حين ينقلب البخل فعلا مُسْتَهْجَنًا لا يبرّره
ولا خلق و لا ضرورة والجاحظ نفسه لم يخف امتعاضه من هذا المبلغ الذي بلغه بعض نحلائه.

II- الخصائص الفنيّة للنادرة (قصصيّة النادرة)

لئن كانت النادرة في بنيتها العامّة أسيرة للخبر و طقوسه وشروطه فإنّ الجاحظ لقي في المتن مس
للتصرّف في المادّة المشكّلة لمضمون النادرة فيمطّط و يقلّص و يهوّل و يبالغ جادًّا حينًا هازلاً حينا
متخفّيًا مرّة متجلّيًا مرّة فانزاح بأثره من "الخبريّة" إلى "القصصيّة" وقد توفّرت نوادره على أبرز مقوّمات
من أطر و شخوص وأنماط الخطاب القصصي من سرد ووصف وحوار وبنية فنّية عامّة حتّى إنّ كثيرا
الباحثين قرنوها بفنّ الأقصوصة في الأدب الحديث لتوفّرها على أبرز خصائص هذا الفنّ من تكثيف و
ووحدة انطباع

1. أنماط الخطاب القصصي في النّادرة (الحوار- الوصف- السّرد)

أ) الحوار (حكاية الأقوال)

يعرّف الصادق قسومة في كتابه [الحوار:خلفيّاته و آلياته و قضاياه] الحوارَ بقَوْلِهِ: "إنّ الحوار في
الأوّل العامّ ليس خاصًّا بالقصّة ولا حتّى بالأدب و ليس هو محصُورًا في الشّخصيّات القصصيّة وإنّما هو
طرائق التّواصل القولي بين الشّخوص خارج عالم الأدب أيضا وهو في الذي له في الأعمال القصصيّة الا
كلام الشخصيّات المباشر بلا واسطة ويعتبر من أهمّ طرائق التّعبير التي يسندها الكاتب إلى الشخصيّات
ينشئها"

الحوار إذن هو خطاب الشخصيّات خِلافًا للسّرد الذي هو صوت الرّاوي ودليل حضوره في
القصصيّ. عند الحوار ينسحب الرّاوي ليفسح المجال للشّخصيّة للبوح و المكاشفة والتواصل و التعبير
ما يَعْتَمِلُ في وجدانها من عواطف و انفعالات و ما يضطرب في ذهنها من أفكار و رؤًى و أطروحات و
و لقد حظي الحوار في كتاب البخلاء بحضور بيّن و كثيف وعليه كان مُعوّل الجاحظ و رهانه لتشكيل
من "جسم" النادرة وكان العنصر الأبرز في تحقيق المقوّمين المحوريين للنادرة و هما "القَصصيّة" والهز
تحرّر الجاحظ من قيود الخبر واستحقاقاته كالصّدق و مطابقة الواقع والحقيقة و قد لَقي فيه المُسْعِفُ له
المادّة الخبريّة و التصرّف فيها بمهارة و دهاء وإنْ أوهَمَنَا بالتزام الواقع حين أسند الأقوال إلى أصحابها و
معارف لا نكرات..و بالحوار أضحك و سخر وتهكّم ونَقد وبه شخّص جوانب من شواغل النّاس في عص
"تسلّل" إلى خواطرهم و هواجسهم يعرّيها ويزيح عنها السُّتر و الحُجب فيُنطِقُ شخصيّاته بِمَا ترضى ولا
خاصّة حين يطلعنا على مواقف في البخل بلغ فيها أصحابها ذروة الشّذوذ و التطرّف حِينَ "جعلوا الجو
والأثرة جَهْلا وزهدُوا في الحمد و قل احتفالهم بالذمّ"

✦ أنواعُ الحوار في كتاب البخلاء:

- **الحوار الباطني:** فيه تحادث الشخصيّة نفسها و عبره ينفذ الراوي إلى باطن الشخصيّة عليما بما يختلجُ فيه. ومن الشواهد على هذا قول جَبل: "لوْ دققْتُ الباب على أبي مازن فبتُّ عِنْدَهُ في أدْنى بَيْتٍ أوْ دِهْليزه ولَمْ ألزمْهُ من مؤنتي شيئًا حتّى إذا انصدع عمود الصّبح خرجتُ في أوائل المُدْلجين"

هذا الضرب من الحوار يُكثّفُ في الحقيقة قصصيّة النادرة فبه يقترب الجاحظ من طقوس القصّة بالقدر الذي يَتحلّلُ فيه من قيود الخبر وضوابطه،وبه يكتسح مساحاتٍ بكرًا لا يسمح له بها الخبر.

- **الحوار الثّاني المباشر:**

وهو متواتر في البخلاء وَ يتبدّل طرفاه من نادرة إلى أخرى وكثيرًا ما يَرِدُ متوتّرًا تحتدم فيه انفعالات البخيل إمّا لتفويت نَدٍّ منه ويَسعى إلى تداركه كحوار زبيدة و الرّجل و حوار الشيخ الخراساني و الرّجل في نصّ كلام بكلام" وحوار رمضان و الأهوازي الذي احتدّ ليَنقلب عنفا لفظيًا فماديًا بلغ حدّ الضّرب.

- **الحوار الجماعي:(متعدّد الأطراف):**

مِثْل الحوار الذي انعقد بين شيوخ من أصحاب الجمع و المنع في نصّ "مثل هذا لا يكون إلاّ سماويًا [ثمّ اندفع شيخ منهم فقال:... /قال القوم:صدقت...|

كذلك الحوار الذي دار بين جماعة البخلاء و أبي سعيد المدائني (نصّ:قد أشكل علينا هذا الأمر)

وفي هاتين الحالتين ورد الحوار هادئًا و كشف عن انسجام بين أطرافه فكان التواصل والتفاعل و هذا طبيعي و أطرافه تجمعهم وحدة المذهب والرّغبة في الاستفادة و مراكمة العلم: "بأفانين" البخل

°القيمة الفنيّة للحوار:للحوار دَوْر في توسيع حظّ النادرة من "القصصيّة" و"الأدبيّة" فمعه يَنْحَسر سُلطان الرّاوي تنفتح مساحةٌ حرّةٌ تتحرّرُ فيها الشّخصيّات من إسارِه فيخرج الخطاب عن خَطِّ الرّسمي المحتّم على الكاتب تهذيبه فتحصل المبالغة و التّضخيم و الشذوذ في التّفكير والسلوك و تبوح الشخصيّة بخواطرها وأفكارها فيتحقّق للجاحظ مراده و هو إشاعة الفكاهة والإضحاك

✦ وظائـف الحـوار:

- **الوظيفة التّصويريّة:** وتتجلّى في الكشف عن:
  - صورة البخيل في تفكيره وسلوكه ومواقفه فهو عَالِمٌ مُجَادِلٌ يُحْسِنُ إدارة الخطاب ومحاجّ بارع يُدافع عن أطروحاته مثل الشيخ الخراساني الذي لقّن الرجل دَرْسًا في التعامل مع الدعوة إلى الطّعام وفق رؤية جديدة تقطع مع قيم الكرم والجود والإيثار.
  - ويتبدّى البخيل أحيانًا فَقيهًا محيطا بأحكام الشريعة و بالحلال و الحرام مثل زبيدة بن حميد. فالرّجُلُ يصدر في حجاجه عن ثقافة دينيّة بدا فيها عَالِمًا بالأحكام – يقول: "أما علمتَ أنّ هبة السكران وشراءه و بيعه و صدقته و طلاقه لا يجوز.."؟
  - كما يتحلّل البخيل من القيم العربيّة التي طالما فخر بها العرب ولهجت بها ألسن الشعراء و بات همّه الجمع و المنع- ورد في حوار بين الجاحظ والحزامي:وقلت له مرّة: قدْ رضيتُ بأنْ يقال عبد اللّه بخيل؟ قال: لا عدمني اللّه هذا الاسم- قلت:وكيف؟ قال لا يقال فلان بخيل وهو ذو مال فسلم. وادعني بأيّ اسم شئتَ."

فالرهان بات على المال وحده هو قطب الرّحى وبه تثقل موازين الرجال

- كما يكشف الحوار عن أنماط من التّعامل والسلوك والتفكير إذْ يصوّر لنا الشخصيّات في انفصالها وتفاعلها و انفعالها وهذه الثنائيّات الضدّيّة هي صدًى لما عرفتْهُ بيئة الجاحظ من تباين في الأفكار والأطروحات والمذاهب. فالبخل بدا صُنُوفًا ومَراتبَ وكذا أصحابه أمّا جدّ فشتّى فهو إصلاح واقتصاد وهو ضرورة اقتضتْها التحوّلات الطارئة على نمط الحياة وهو عند أشبه بعقيدة بات الطّعن في الإسلام عندهم أهون عليهم من الطّعن في بخلهم.

فمن خلال الحوار نطّلع على جوانب من النظام القيمي والتحوّلات الطّارئة على المجتمع والثقافيّة.

- **الوظيفة الإمتاعيّة:**

يستوي الموقف الحواري في بعض النوادر مشهدًا فرجويًّا ذا طبيعة مسرحيّة خاصّة عندما تُنْفَعُ بحركات و من الشواهد على هذا ما ورد في نادرة "بصر بملك الموت" : "فَخَلّع (أبو مازن) جوارحه لسانه وقال سكران و الله أنا والله سكران" وللقارئ أنْ يتخيّل الحركة ونبرة الكلام

وفي نادرة "إنّما العين مكروه يَحدث" ["قال فوثبتُ عليه فقبضتُ على لحيته بيدي اليسرى ثمّ الدجاجة بيدي اليُمنى فمازلتُ أضرب بها رأسه حتّى تقطّعت في يدي....ثمّ أقبل عليّ فقال: قد أحرقت عينك مالحةً "]

وأحيانا يصطبغ المشهد بصبغة دراميّة حين يعرف الموقف تصعيدا ويبلغ درجة من التوتر والا تنتهي إلى سكون الحيّة كما هي الحال في الموقفين السابقين

هذه الصيغ المشهديّة والمسرحيّة تمتع القارئ بفضل ذلك التفاعل الطريف بين السمعي والبـ والذي يندر أن نلقى له نظيرًا في المدرسة الإبداعيّة التّقليديّة

- **الوظيفة الاستبطانيّة:**

ينفذ الحوار أحيانا إلى باطن الشّخصيّة لِسَبْر أغوارها فنعرف ما خفي من خواطرها و انفعالاتها وبـ هذا خاصّة في المواقف التي ينهزم فيها البخيل جرّاء تفويت أُكْرِهَ عليه و هذه البَوَاطن تُلْمَحُ و لاَ تَرِدُ للقارئ أنْ يتخيّل ما يَنْطِنُ صدر البخيل منْ ألم و حَسْرَة ووجع حين يفرّط في شيء مِمّا ملك فالجاحظ أبطل مسعى محفوظ النقاش علّق قائلا:"فما ضحكت كضحكي تلك الليلة"

فلا يمكن لضحك الجاحظ هذا إلاّ أن يثير انفعالات محفوظ النقاش و قد ذهب سعيه سُدًى خسر اللبأ وأُحْبِط مَسْعَاهُ.

والخزامي بات سؤال الناس له أشبه بمصيبة حلّت به فالطمع فيه إفلاس واليأس منه أمن: "ما أحوج يكون الله في سمائه قد قصد إلى أنْ يُفْقِرَني"

⇦ سَمَحَتْ هذه الوظيفة بانكشاف مَخْبوء انفعالات البخيل وخواطره وهَوَاجِسِه لِيُعَرِّيَ الجاحظ ويجريها على لسانه ليفضح نفسه بنفسه.

ب) الوصف: (حكاية الأحوال)

ورد في معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة و الأدب لمجدي و هبة وكامل المهندس: "هو [الوصف] إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنيّة عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع"

أمّا في فنّ القصّة فهو أحد أنماط الخطاب القصصي الثلاثة و لقد حضر في كتاب البخلاء وكشف عن براعة الجاحظ في التّشخيص والتصوير وهذه البراعة تكشف عمّا لديه من طاقة إبداعيّة فنيّة طالما احتكرها الشعراء ولقد شهد كثيرون للجاحظ بهذه المهارة في الوصف والتّصوير ومن بينهم طه حسين الذي يفسّر قيمة كتاب البخلاء الأدبيّة بـ"التّصوير الدّقيق الذي لا يقاس إليه تصوير" ويقول الباحث أحمد الشايب مُتحدّثًا عن التّصوير في نثر الجاحظ: "نُريدُ بالتّصوير أسلوب الوصف الذي يَعْرِضُ عَلَيْنَا الشخصيّات أو المناظر أو الأشياء أو الحالات النفسيّة متميّزة الخواصّ جدًّا أوْ هَزْلاً كما هي في الواقع أوْكما يراها الكاتب الفنّي".

وينعت جميل جبر الجاحظ "بالمصوّر الاجتماعي البارع"

ولعلّ رأي الشايب هو الأكثر تعبيرًا عن خصائص الوصف عند الجاحظ فقد صنّفه إلى ظاهر حسّي وباطني نفسي ويرى الجاحظ في ذلك مراوحًا بين الوفاء للواقع و إعادة صياغته مُلتزمًا باستحقاق النصّ الأدبي من التخييل فضلا عن المراوحة بَيْنَ الجدّ والهزل

فماهي موصوفات الجاحظ في "بُخَلائِهِ"؟ وما تقنياته و أدواته؟ وما وظائف الوصف؟

الموصوفات: لسنا بصدد جرْدِ الموصوفات تامّةً مفصّلةً وإنّما نكتفي بأكثرها حضورًا فالموصوف الأبرز هو شخصيّة البخيل إذْ يستأثر بالقدر الأوفى من الوصف فَتُرْصَدُ حركاته بوصفه وهو يأكل "وكان علي الاسواريّ إذا أكل ذهب عقله وجحظت عينيه وسكر وسدر وانبهر وتربّدَ وَجْهُهُ ولَمْ يسمع ولم يبصر". كما يصف طعامه (الدجاج / السمك / الجبن / الزيتون /....) وبطال الوصف كذلك انفعالات البخيل و طريقة كلامه....

+ وظائف الوصف:

- **الوظيفة التّعريفيّة(تقديم الشخصية):** تتجلّى في تعريف الجاحظ ببخيله بصرْف النظر عن مدى مطابقة تلك الصورة للواقع: "كان عَلَى رَبْضى الشاذروان شيخ ....من أهل خراسان وكان ..... بَعِيدًا عن الفساد ومن الرّشا و من الحكم بالهوى" / "كان تمّام بن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل..."
- **الوظيفة التّصويريّة:** تَطالُ هذه الوظيفة الوجه الحِسّي و العمق النّفسي للشّخصيّة

و مِنْ مظاهر التّصوير الحسّي وصف حركات البخيل عند الأكْل ليكشف عن مدى نهمه أو عن طقوس له يعتمدها في أكله وقد تتعلّق هذه الحركات بطريقة الكلام وأبْلَغ شاهد على هذا الضّرب من التّصوير وصف أبي مازن في تَساكره:"فخلّع جوارحه و خبّل لسانه...وأرخى عينيه و فكّيه و لسانه.."

أمّا التّصوير النفسي فيكشف عن الأحوال و الإنفعالات.

يصف الجاحظ الحزامي بعد أنْ استلف منه عليّ الأسواريّ مائة درهم بقوله: "فجاءني وهو حزين منكسر"

ويصف حال جبل وهو يدقّ الباب على أبي مازن :" فدقّ عليه دق واثق ودقّ مدلّ ودقّ من يخاف أنْ يدركه الطائف أو يقفوه المستتبي وفي قلبه عزّ الكفاية"

- يأتي الوصف أحيانا عامّا محيطا بالموصوف يقدّمه تقديما مجملا كأنْ يقول الجاحظ واصفا الشيخ الخراساني: "كان مصحّحًا بعيدًا من الفساد و من الرّشا ومن الحكم بالهوى وكان حفيًا جدّا.."
- ويأتي في سياقات أخرى مفصّلا ناميًا و متشعّبا ليكتمل في آخر النادرة وتكتمل معه صورة البخيل والحوارُ....

وهذا الضرب من الوصف يرقى بالقيمة الفنيّة للنادرة و يجذّرها أكثر في القصصيّة "ويَعْضُدُه في ذلك السّردُ

ج) السّرد (حكاية الأفعال)

يُعَدُّ السّرد الخطاب الحاضن في القصّة حتّى و إنْ انحسر حضوره في النصّ فبه يتولّى السارد عرض المادّة الحدثيّة وفق برنامج خاضع لرؤية الكاتب و إنّ وظيفة السّارد في "البخلاء" مزدوجة ففضلا عن الدّور المعهود المتمثّل في نقل الأحداث و توزيعها وفق نظام مخصوص يتولّى وظيفة ثانية يحتّمها عليه الجنس الأدبي الذي يتحرّك في فلكه (النادرة)و تتمثّل في توليد الفكاهة و الإضحاك فعليه أنْ يَسْتَنْفِرَ المتن في شكله ومضمونه لأداء هذه الوظيفة و عليه أنْ يوجّه الأحداث والأقوال و يرصد الأحوال لخدمتها حتّى تُؤدّي النادرة وظيفتها الإضحاكيّة والإمتاعيّة وكثيرًا ما يرد السّردُ سريع النّسق و الوتيرة ويُرَدُّ هذا إلى خصيصة مميّزة للنادرة وهي الإيجاز فتتسارع وتيرة السّرد لتجنّب التّشعيب الذي قدْ يذهب بحرارتها ففي نصّ كلام بكلام بعد إجْمال سلوك البخيل في كلّ يوم جمعة و الذي قد طال نسبيًا يضع الراوي حدًا لتلك الإطالة و لذلك السلوك المتكرّر بقوله: "هذا كان دأبه كلّ جمعة".

وفي نصّ يصر بملك الموت يحاور جبل نفسه فيقول: "لو دققتُ الباب على أبي مازن" ويأتي الإنجاز سريعًا على لسان الراوي:"فدقّ عليه الباب" وتلتقي النادرة في هذه الخصيصة الفنيّة بجنس الأقصوصة في مبدإ "الاقتصاد" الذي يقتضي التركيز والاختصار. ومن خصائص السرد في النادرة أنّه يطول أحيانا ولكن بمقادير محسوبة وينْحَسِرُ أحيانا أخرى ويتقلّص خاصّة في النوادر التي يهيمنُ عَلَيْهَا الحوار وينحسر مع ذلك دور الرّاوي ليكتفي ببعض المداخلات القصيرة التي تكون أشبه بالإشارات الركحيّة في فنّ المسرح.

2. الشّخصيّات:

إنّ الشّخصيّة في كتاب البخلاء وإنْ انشدّت إلى الواقع في كثير من الأحْوال فإنّها تستحيل في الأثر كائنا فنيًا قصصيًا لِمَا يطالها من تعديل تُحتّمه خصوصيّة فنّ الأدب و لقد سخّرها الجاحظ لأداء أدوار تترجم عَنْ مواقفه ومقاصده ولذلك كان مُعوّله على الشخصيّة كبيرًا في مختلف مكوّناتها النفسيّة والسلوكيّة والفكريّة والذّهنيّة والقيميّة والطريف أن الجاحظ إستطاع بحيله الفنيّة أنْ يخرج الشخصيّة حتّى وإنْ كانت عَلَمًا متأصّلا في الواقع من واقعها الموضوعي إلى المتخيّل الأدبي بإعادةِ صياغتها لتستوي كِيانًا فنيًا يَصُوغُهُ وفق مَقاصده الفنيّة والدّلاليّة

III- الحجاج في النادرة

1. دواعيــه:

لمّا كان البخل سلوكا غريبا و دَخيلاً على الثقافة العربيّة كان على البخيل -وهو يعي جيّدا هذه الحقيقة- أنْ يعمل جاهدًا على فرض أطروحاته و قيمه التي يصدر عنها داعيًا إليها دارئا عنها طعون الرافضين مروّجا لها من آيات ذلك أنْ عدّت فئة من البخلاء "الشحّ إصلاحا والبخل اقتصادًا والجود سرفًا و الإيثار جهلا"

22/28

مختلفا عنه و منحرفًا عن الثوابت والأصول التي يتبنّاها ونُدركُ هذا جليًا في كتاب البُخلاء فالهزل هو عَنْ مَوْقف الجاحظ المستهجنِ لأنماطٍ قيميّة وسلوكيّة باتت تُهدّد الأصول بل حتّى الفروع.

2. وسائل تحقيق الإضحاك و توليده:

عديدة هي هذه الوسائل ولكنها تجتمع تقريبا في تصوير البخيل خارجًا عن المألوف والقواعد ال والقيميّة التي تواضع عليها الناس ومن تلك الوسائل نذكر:

أ) المبالغـــة:

وتتجلّى في اختراق فعل البخل حدود المألوف اختراقًا مولّدا للذهول و الدّهشة فيكون والسخرية و الطريف أن ترد المبالغة و ما تكشف عنه من شذوذ على لسان البخيل و لعلّ ذلك حي الجاحظ ليشهد البخيل على نفسه بنفسه. يقول محفوظ النقاش مبرّئا نفسه من صفة البخل" وإنما قص الكلام لئلاّ تقول غدًا: كان وكان الله قد وقعت بين نابي أسَدٍ" فضراوة البخيل في بخله شبّهت بضراوة في فتكه بفريسته.

هي صورة قائمة على المبالغة المولّدة للإضحاك.

ومن الشواهد على هذه الوسيلة مبالغة الشيخ البخيل في "استدرار" منافع النخالة فلقد أشاروا به دواءً فإذا هو يستطيبها لتكون له غذاء ومادّة للمتاجرة بعد استنفاد منافعها الغذائيّة والعلاجيّة.

يقول هذا الشّيخ: "فقلت للعجوز: لِمَ لا تطبخين لعيالنا في كلّ غداة نخالة؟ فإنّ ماءها جلاء للـ وقوتها غذاء وعصمة ثمّ تجفّفين بعْدُ النخالة فتعود كما كانت فتبيعينه إذا اجتمع بمثل الثمن الأوّل وكي ربحنا فضل ما بين الحالتين".

المبالغة في الشحّ: "وأتانا بأرزّة لو شاء إنسان أن يعدّ حبّها لَعَدّه لتفرّقه و قِلّته"

ب) الإضحاك بالمفارقة:

كأنْ يظهر البخيل السكران فَقِيهًا عَالِما بالحلال والحرام يُحرّمُ هِبَةَ السّكران ويُحِلُّ الخمر ضمنيّة-يقول زبيدة مُخاطبًا صديقه: "أمَا علمتَ أنّ هِبة السكران وشِراءه وبيعه وصَدَقته وطَلاقه لا يجو

ج) الإضحاك بالموقف:

يجسّمه المآل الذي انتهى إليه الشجار بين رمضان والأهوازي: "فقبضت على لحيته بيدي اليس تناولت الدّجاجة بيدي اليمنى فمازلتُ أضرب بها رأسه حتّى تقطّعت في يدي".

د) الإضحاك بالحركة:

حركات أبي مازن في إيهام جبل بالسكر "فخلّع جوارحه وخبّل لسانه وقال سكران والله أنا والله سك

ه) الإضحاك بالقول:

يصدر القول غريبا كاشفا عن اعتقاد خارج عن حدود العقل: ردّ الأهوازيّ على رمضان بعد أن "قد أخبرتك أنّ عينيك مالحة و أنك ستصيبني بعين"

و) الإضحاك بالصورة:

من خلال رسم صورة للبخيل أشبه بالرّسم الكاريكاتوري "وكان علي الأسواري إذا أكل ذهبت وجحظت عينه و سكر وسدر وانبهر وتربّد وجهه ولم يسمع ولم يبصر"

23/28

ولتحقيق المراد لقي البخلاء في الحجاج السبيل الأنسب فحشدوا الحجج ينتزعونها من مواضع عدّ
والعقل والمنطق و الدين واستنفرُوا عناصر اللّغة لتعزيزها.

2. أبرز أنواع الحجج:

أ) الحجّة المنطقيّة ذات المرجعيّة العقليّة:

يقول أحد شيوخ البخل مبرّرًا مبدأ الجمع و المنع: "إنّ أوّل كلّ كبير صغير و هل يصير الـ
درهم على درهم و هل الدّرهم إلاّ قيراط إلى جنب قيراط"؟

ب) حجّة المثال:

تأتي رافدة للضرب السّابق من الحجج- يقول الشّيخ:"أو ليس كذلك رمل عالج وماء البحر؟"

ج) الحجّة الواقعيّة:

تتبدّى في حادثة عاشها البخيل و باتت حجّة ومثالا يُحتذى وَمَرْجَعًا جديرًا بالإشادة و التّ
هذه الحجّة حديث النخالة الصادر عن الشيخ الذي وَجَدَ في النخالة مَغَانِمَ شتّى ومآرب كثيرة في
والطّعام و مادّة تجارية تحقّق الرّبح و تمنع الإنفاق

د) حجّة السلطة (الحجّة الدينيّة: القرآن / الحديث النبوي)

يبدو البخيل من خلال هذا الضرب من الحجج فقيها و على حظّ كبير من الثقافة الدّينيّة يحـ
و الحديث و يوظّفهما حسب مقتضيات الحال والضرورة... يقول زبيدة آملاً في استرداد القميص: "إ
أنّ هِبَة السكران وشِراءه وبيعه وصدقته و طلاقه لايجوز" وكذلك قوله:"فإنّي أكره أن يذهب شيء
باطلا". وكذلك قول موسى بن جناح وهو يروم صدّ الحاضرين عن الطّعام: "لا تعجلوا فإنّ العجلة من
وكيف لا تعجلون و قد قال جلّ ذكره: "وكان الإنسان عجولاً".

ه) حجّة الضّرورة(إدّعاء المنفعة):

نكتشفها في سعي محفوظ النقاش إلى صدّ الجاحظ عن الطّعام بداعي المرض ـ"فلمّا مددتُ قال: يا
عثمان، إنه لِبَأ، وغِلَظُه، وهو الليل، وركودُه، ثم ليلةُ مطرٍ، ورطوبةٍ، وأنت رجلٌ قد طعنتَ في السِّنّ، وأنت
تشكو من الفالج طرفًا، وما زال الغليلُ يُسرِع إليك، وأنت في الأصل لستَ بصاحب عَشاءٍ..."

و) الحجّة الأخلاقيّة المزعومة:

ينتزعها البخيل من قيم الجماعة أمّا مُرادُه فليس أخلاقيًا وإنّما هو صدّ الضّيف لتحصين نفسه
والإنفاق. يقول محفوظ النّقاش للجاحظ:"قلتُ هذا الكلام لِئلاّ تقول غدًا: كان وكانَ. واللهِ قد
نابَني أسد لأنّني لو لم أجئك به وقد ذكرته لك قلت: بَخُل به وبَدَا له فِيه."

⇐ تكشف هذه الحجج عن ذلك الصراع الذي يعيشه البخيل فهو يعي أنّه غريب الفعل والتّفكير
عن قيم الجماعة ولكنّه يسعى إلى الانخراط فيها و بِغَيْرِ ثمن إلاّ أن يكون كلامًا وتلك معادلة غريبة
بعض البخلاء خسرانا مبينا وقعوا في أشْرَاك لم يستطيعوا الخَلاَصَ مِنْهَا كما هو الشأن مع زبيدة و
النقاش **فتضيع حينها الحجّة و يذْهَبُ كِفَاحُ البخيل سُدًى.**

3. مقاصد الحجاج و أبعاده:

الحجاجُ سلاح البخيل لفرض أمر واقع وتثبيت قيم بديلة هي قيم المادّة في عصرٍ باتَ فيه الدّرهم القطب الذي تدور عليه رَحى الدّنيا وقد تتجاوز هذه الوظيفة ليفتح على دلالات ومقاصد تتجاوز ظاهر خطاب البخيل لتظفر بملامح الخطاب الجاحظي الجانح للعقل والمنطق فالبخيل الذي يظهر في أكثر من موقف رجلا ذكيّا يستنفر طاقاته الذّهنيّة للتّمكين لمذهبه وفرض بديل قيمي حشد له ما ملك من الحجج والمؤيّدات إنّما يذكّرنا بالجاحظ في سجاله وجداله وهو يدافع عن ظاهرة ما ينتصر لها و يفضّلها عمّا سواها وكأنّنا به أراد من خلال كتاب البخلاء أن يحوّل على لسان البخيل الظواهر السلوكيّة والاجتماعيّة إلى مادّة حجاجيّة قابلة للجدل والسّجال والمناظرة فبَعْدَ أن وظّف العقل في الاستدلال على قدرة الخالق معتزليًا متكلّما هاهو العقل يوظّف في صراع الأفكار والطّباع والقيم في محيط احتدم فيه الصّراع في ظلّ التعدّد و التنوّع و ظهور البدائل المتحسّسة لطريقها على أنقاض النظام القيمي الذي حكم الثقافة العربيّة زمنا طويلا و هكذا يحوّل الجاحظ كلّ الظواهر و إنْ بدت هامشيّة و مزدراة كظاهرة البخل إلى مادّة يسلّط عليها مجهر العقل للفحص والبحث والنظر والتحليل و التعليل ونستأنسُ في تصوّرنا هذا بتلك الأسئلة التي عُرضت على الجاحظ حَسب زعمه في مقدّمة كتاب البخلاء من قبيل قوله: "وقلتَ:فبيّن لي الشيء الذي خبّل عقولهم وأفسد أذهانهم وأغشى تلك الأبصار ونقض ذلك الاعتدال... وما هذا الغباء الشديد الذي إلى جنبه فطنة عجيبة وما هَذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح و أدرك به الجليل الغامض" فكأنّ الجاحظ أراد في كتاب البخلاء أن يلبس خِطابَ العقل كساءً فنّيا فأحال الكلمة إلى البخيل ليجادل ويُساجل ويُنَافِحَ عن أفكاره و يكافح...

IV- الفكاهة و الإضحاك في "البخلاء":

1. عوامل نزوع الجاحظ إلى الفكاهة:

تزدحم عند الباث مفاهيم شتّى تتجاوَرُ بقدر ما تتباعد و تتداني فتتَجافى من قبيل "السخرية" و"المزاح" و"الهزل" و"التهكّم" و "الدّعابة" و إن البحث الأكاديمي الدقيق لَيَجْلُو ما بينها من فروق و تفاوت في الدّلالة و لسنا في بحثنا هذا بصدد البتّ في هذه المفاهيم و إنّما مرادنا الإحاطة بقدرٍ ما بمولّدات الإضحاك في "بخلاء" الجاحظ من خلال نماذج و أمثلة.

إنّ الإضحاك ملازم للنادرة بل هو أمارة لها و دليل عليها و مقوّم محوريّ في إفرازها جنسا فنّيا مخصوصًا فهو أساس النادرة و هو علّتها و مقصدها ومحدّد لجانب من هويتها الفنيّة. وقبل الخوض في مواطن الإضحاك في "بخلاء" الجاحظ و الوسائل التي تحقّقه نقف عند أبز عوامل جنوح الجاحظ إلى الهزل في جلّ كتاباته فحتّى كتاب الحيوان و هو أنزع إلى خطاب العَقْل تتخلّله نوادر مُفجّرة للإضحاك و الفكاهة و الجاحظ يصدر في ذلك عن وعْيٍ بل عن فلسفة في الكتابة والإبداع. ويمكن تبرير هذه النّزعة بعامل ذاتي و آخر موضوعي أمّا العامل الذّاتي فيتمثّل في نزوع الجاحظ بالطبع إلى الفكاهة فهو مُؤْثر للضحك و قد فضّله على البكاء الذي يظلّ "صاحبه في بلاء و ربّما أعمى البَصَر و أفْسَدَ الدّماغ" أمّا العامل الموضوعي فيتمثّل في البيئة التي عاش فيها الجاحظ (البصرة ثمّ بغداد) لقد عرف هذان الفضاءان تنوّعا في الأمم و الأجناس والميول والنزعات و شاعت فيهما حياة اللّهو و الإقبال على الحياة ومباهجها و قد انكشف ذلك جليًا في أشعار بشّار وأبي نوّاس فشاع الهزل و الفكاهة و ربّما كان ذلك الهزل موقفا يصدر عن هذا الفريق إزاء ذاك حين يراه

بإحاطة الجاحظ بشخصيّة البخيل ظاهرا و باطنا ترتسم الصورة كاملةً وتستجيب النادرة لاستحقاقات هذ القصّ وتنعتق من قيود الخبر وطقوسه.

▪ **الوظيفة النّقديّة:**

تتجلّى أحيانا صريحة حين يعبّر الجاحظ عن موقفه من بخيله كقوله في وصف تمّام بن جعفر: "كان تمّام ابن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل."

ويَرِدُ النقد مبطّنا في أكثر الأحوال يستخلصه القارئ من طريقة الوصف كأن يمعن الجاحظ في تصوير عيب في سلوك البخيل و تفكيره أو يجعله محلّ هزء و سخرية فيصوّره مهزومًا مكلومًا مثل هزيمة زبيدة في حادثة القميص ومآل الأهوازي مع رمضان و إحْباط الجاحِظ نَفْسِه لخطّة محفوظ النقاش التي رام بها صرفه عن الطّعام.

وتَظْهرُ هذه الوظيفة البخيل مرفوضا مستهجنا فإذا هو أنانيّ يَضِنُّ بكلّ شيء ويستبيح عرضه ودينه همّ الجمع والمنع.

▪ **الوظيفة الإمتاعيّة:**

لَئِنْ كَان الجاحظ قد عَرّى بالوصف حقيقةَ بَخيله في شُحّهِ وبُخْلِهِ حَتّى أمْسَى وصفه رفضًا لهذه الفئة الاجتماعيّة فإنّه حقق لقارئه قدرًا كبيرًا من الفكاهة و الإضحاك متخذا لذلك طرائق عدّة سَنُفَصّل فيها القول في عنصر الفكاهة و الإضحاك.

▪ **الوظيفة الإبداعيّة:**

لعلّ الجاحظ أراد بالوصف استعراض مهارته في هذا الفن الذي ظلّ حكرًا على الشعراء زمنا فطوّعه للنثر وفق رؤية إبْداعيّة مخصوصة ثمّ إنّه اِستطاع بالوصف أن يرسّخ أثره (كتاب البخلاء) في القصصيّة من خلال تصرّفه في الموصوف مضخّما و مبالغًا فينعتق من الواقع ويلج بكتابه دائرة المتخيّل الأدبي و تفضي بنا هذه الوظيفة إلى البحث في أبرز خصائص الوصف عند الجاحظ.

✦ **أبرز خصائص الوصف:**

▪ يأتي الجاحظ في الوصف أحيانا على الشيء الدقيق الذي لا يأبه له غيره فيكشفه ويضخّمه و يفجّر من الفكاهة و الإضحاك ومن الشواهد على هذه الحقيقة الفنيّة قوله: "ولَمْ أرَ مثل أبي جعفر الطرسوسي،زار قومًا فأكرموه و طيّبوه وجعلوا في شاربه غالية (هي نوع من الطيّب) فحكّته شفته فأدخل إصبعه فحكّها من باطن الشفّة مخافة أنْ يأخذ إصبعهُ من الغالية شَيْئًا إذا حكّها من فوق..."

يكشف هذا المثال عَنْ مَدَى دقّة الجاحظ في الإحاطةِ بأدقّ الأشياء في سلوك البخيل.

من خصائص الوصف كذلك أنْ يرصد الجاحظ موصوفَهُ في حالة حركة فيرى القارئ الصورة حيّة كأنّها تتشكّل أمامه كما تجلّى في المثال السابق و ترد الصورة ساكنة عندما يتعلّق الأمر بضبط صفات متواترة وثابتة و مستقرّة وقد باتت ملمحا مميّزا للموصوف (شخصيّة البخيل).

▪ كذلك يرد الوصف مُتَوَاشِجًا مع السّرد حين ينهض الخطاب السّردي بوظيفتي الإخبار والوصف المتزامنتيْن

الخاتمة:

لقد درسنا في هذا العمل أبرز الخصائص التي ميّزت نوادر الجاحظ في كتاب "البخلاء" شك
ومضمونا فنظرنا في أبرز مقوّماتها و هي القصصيّة و الفكاهة و الحجاج و إنّ الحقيقة التي استقرّت للدّنيا و
نهاية البحث هي ما يمكن تسميته بتمثيليّة كتاب البخلاء للملامح العامة للكتابة في أدب الجاحظ فلئن است
هذا الكتاب بخصوصيّة في مضمونه و بنائه الفنّي و قد استوى جنسا أدبيّا امتثل فيه الجاحظ طقوس القص
فإنّه يختزل إلى حدّ بعيد الخصائص العامّة التي وسمت كتاباته فالمراوحة بين الجدّ والهزل التي استغ
ملمحا مهمّا على أبرز كتاباته نراها حاضرةً في "البخلاء" ومركزها شخصيّة البخيل وكذلك كان فيه للح
والحجاج والسجّال و المناظرة حضور. ولئن كانت النّادرة هي الجنس الحاضن لمتن الكتاب فإنّها تجلّت
أشكال شتّى فحضر الخبر و الرسالة و الحديث والملح والطُّرَفُ والمعلوم أنّ هذه الأشكال متواترة في كتا
الجاحظ..وكمّا عوّدنا أبو عثمان بدراسته الكثير من الظواهر النائتة في محيطه فتحدّث في اللصوص والعيّ
والقيان والتجار والسلطان.... يستمرّ ملتزما هذا السّمت في كتاب البخلاء.. وكما عرفناه بَاحثا دقيق
حضرت هذه الدّقة كذلك في تعقّبه للبخيل في سلوكه وتفكيره بل نفذ إلى خواطره وهَوَاجسه يكشفها ويعرّ
ولكن هذا كلّه لا ينفي اختصاص النّادرة بهويّة إبداعيّة مخصوصة فهي في متْنها أجنح إلى المتخيّل الأدبي
أوْهمت بالتسجيل والمباشرة في ظاهر نصوصها فالجاحظ انسحبَ في النادرة محيلاً الكلمة إلى الشخ
لتتحرّرَ مِنْ سلطانه.

الرّومنطيقيّة في الشّعر العر

تمهيـــد: ظهور الرّومنطيقيّة

ظهرت المدرسة الرومنطيقية في نهاية القرن الثامن عشر
وفكرية وفنّية في القرن التاسع عشر الميلادي مع مجموعة من ا
وألفرد دوفينيه Alfred de Vigny وجوتهGoethe اللذين
الثورة على المدنية وفسادها و العودة إلى الطبيعة، وتقديس الف
العقل، والسّموّ بالمرأة... والرومنطيقية إجمالا تعبير عن ذات
أو تعبيراً عن المجتمع وقوانينه ولهذا سُمّي المذهب الرومنـ
عواطف الأديب وعوالمه الذاتية الذي كثيراً ما ترافقه الشكو
المجتمع وظلمه، ولذلك جاء أدبهم طافحا بالأحزان متلفعا
الخيال و عوالم الروح و إما إلى الماضي بذكرياته المرة والح

**في الأصل من كلمة «رومانسRomance» في الأنج
عاطفية وخيالية، لا تخضع للعقل وللمنطق، ولا تعتـ
المجنّح وتسعى إلى الانطلاق والهروب من الواقع المر**

عربيّا:

انتقلت مبادئ هذه المدرسة إلى العالم العربي في
إلى "مدرسة الديوان" ثم ترسّخت الرومنطيقية مع "مد
أبوللو"

1 - مدرسة الديوان:

3. مقاصد الفكاهة:

أ) المقصد الإمتاعي:

لا يمكن فصل الفكاهة عن الخطّ الإبداعي الذي سلكه الجاحظ في جلّ كتاباته والقائم أساسًا على المراوحة بين الجدّ و الهزل فكانّ الفكاهة إختيار أراده الجاحظ لإمتاع القارئ و أسره لتقبّل المضمون المزمع تبليغه.

ب) المقصد النّقدي:

نعرية نماذج سلوكيّة و قيميّة دخيلة على النظام الإجتماعي والثقافي والقيمي الذي ساد لزمن طويل.

ج) المقصد الإبداعي:

-تحويل الضّحك من سُلوك عَفْويّ إلى مادّة أدبيّة وإبداعيّة فهو مُقَوّمٌ محوري من مقوّمات النادرة به انتزعت جانبا من خصوصيّتها الفنيّة.

د) المقصد الفكري والثقافي:

يبدو أن الجاحظ سعى إلى فرض الضحك نمطا ثقافيا في المجتمع الجديد الذي تعدّدت فيه أسباب الضحك ومعانيه ومقاصده وكأنه يريده فعلا جماعيا يؤسّس لنمط جديد في التواصل الاجتماعي- يقول الجاحظ في تعليقه بعد الموقف الذي جمعه بمحفوظ النقاش: ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأتى عليّ الضحك أو لقض عليّ. ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب."

V- في المقاصد العامة للنادرة:

لقد كان للجاحظ فضل استقلال النادرة جنسا أدبيا قصصيّا قائم الذّات وكشف لنا من خلالها عن معالم عبقرية كاتبا مبدعا وتبتدئ ملامح هذه العبقرية فيما أودع نوادره من مقاصد تشكّا مجتمعه وظائف جديدة للأدب والأديب كما يراها أبو عثمان والنّادرة إمتاع وإبداع وفيها بناء وإنشاء وبراعة تصوير....أما الإمتاع فيظفر به القارئ في ذلك البناء القصصي المستطرف وفيما يلقى في النادرة من صنوف في القول والفعل تضحك وتبثّ الدّعابة والفكاهة وأمّا الإبداع فإنّما آتيه في تحويل الجاحظ لمرذول الفعل والقول معلما فنيّا جميلا وبديعا يقدّه بعبقريّة فذّة وأمّا البناء والإنشاء فنلحظه في ذلك المشروع الخفيّ الذي يهدف إلى تكريس خطاب العقل فبالعقل وحده تنال الرّغائب والمآرب فإن غلب البخيل خصمه فإنّما بالحجّة وساطع البرهان وإن غُلِبَ فلان عقل خصمه فاق عقله....وأمّا التصوير فإنّما هو عين الجاحظ الرّاصدة لكلّ ما يضطرب في محيطه وانتهى إلى سمعه وبصره ففي كتابه يظفر القارئ بحقائق عن عصره دوّنها تدوين أديب بارع يُظْهِرُ من المقاعد بقدر ما يُضْمِرُ لا تدوين مؤرخ هذه الحقائق نَلْمَحُهَا في وجه النصّ وقفاه ولعلّ الحقيقة الأبرز هي ذلك التنوع الذي عرفه عصر الجاحظ وبلغ حدّ التباين فاستوى أخدادا ففي عصره قبيح وفي عصره جمال وفي عصره اجتماع وفيه فُرْقَةٌ وشقاق وفي عصره تستبد النّفس بصاحبها حدّ حتى تبلغ به حدّ الذلّ والهوان وفي عصره العقل شَامِخٌ يبلغُ به صاحبه ما لا يَبْلغُهُ بالذّابل والمهنّد ولا بالقرابة والعديد الأجزل.